مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة اسلامية . ثقافية . تصدر سنويا

العدد الثالث
1986

- صدى الأدب العربي في الدعوة الإسلامية
- مخطوطات ليبية
- وصول الإسلام إلى ساحل مليبار
- التيارات الفلسفية وعلاقتها بالصراع على الحكم

أبو عمرو بن العلاء

النحوي اللغوي الراوية القارئ

الأستاذ عبد الله الأسطى

مما لا شك فيه أن اللغة في أي مجتمع تلعب دوراً مهماً في حياته ؛ لأنها تعتبر المرآة العاكسة للصورة الصحيحة لحياة الأمة ، كما أنها من أوثق العُرى التي تربط بين كل الأفراد والجماعات ، وكلما اعتزت أمة بلغتها وأحاطتها بالاهتمام والمحافظة على أصالتها كانت تلك الأمة قوية أصيلة ، والأصالة تثبِّت أركان الأمة وتوطِّدُ وجودها واستمرار حياتها الاجتماعية والثقافية والقومية . يضاف إلى ذلك أن اللغة هي الوسيلة العظمى لتطور الأمة ولقياس تقدمها الفكري من خلال واقع لغتها .

ولغتنا العربية ـ دون شك ـ من أسمى

اللغات وأجدرها بالبقاء على الرغم مما أصابها من وهن وطعن ، ولكن لم يستطع أحد أن يطفىء شعلة الحياة فيها ، فظلت شموعها مضيئةً ، تنير طريق البشرية مهما كانت العوائق لتعطيل نموِّها واستمرار ازدهارها .

ذلك لأن اللغة العربية تمتاز بعذوبة اللفظ وجمال الأسلوب وحسن الوقع وغزارة المادة ، ولا غرابة في ذلك فهي لغة القرآن الكريم . فصارت به وبفضله باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . لكن علينا نحن ـ أبناء هذه الأمة الخالدة ـ أن نعني بتراثنا الهائل الذي أداته لغتنا الفصحى ؛ لأنها رمز لقوميتنا وتراثنا نسمو بسموِّها ونتقدم بتقدُّمها . لقد كانت اللغة العربية مصدراً لاعتزاز العربيِّ بفصاحته عندما كانت صافية نقية لا تشوبها شائبة .

ولكن بعد أن اختلط العرب بغيرهم عقب دخول الناس في دين الله أفواجاً تسرّب اللحن إلى اللغة والقرآن الكريم ، حتى أن الرسول ﷺ سمع رجلاً يلحن أي يخطىء في تلاوة القرآن الكريم فقال : « أرشدوا أخاكم فإنه قد ضل » . وقد توالت الحوادث التي تمثل الخطأ في اللغة العربية في عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم الأمر الذي حرك أولي الغَيرة على اللغة العربية وبدأوا يفكرون في وضع القواعد وتأسيس علم النحو للحفاظ على اللغة العربية وفي مقدمة هؤلاء أبو الأسود الدؤ لي وغيره كابن أبي إسحق وعيسى بن عمر الثقفي ، وقد كان من بين الذين أسسوا صرح العربية وثبتوا أركانها حتى غدت ذات بناء متين ، أبو عمرو بن العلاء عالم العربية وشيخها الفذ حتى إن السيوطي يلقبه بأبي العلماء في كتابه المزهر (2 - 415) . لأن أبا عمرو قام بدور عظيم في ميادين النحو واللغة والرواية والقراءة فهو من العبقريات العربية التي حلقت في آفاق الجزيرة العربية متفاعلة في نواميسها الطبيعية مشافهة للأعراب الخلص مدة طويلة حتى تكون لديه رصيد لغويٌ هائل ، بعد أن تزود بحفظ ودراسة القرآن الكريم . إلا أن أحداً لم يقم بجمع مآثر هذا العالم الجليل الذي تناثرت أخباره في بطون الكتب المنتشرة في مكتبات العالم .

لهذا رأينا لزاماً علينا إزالة الغبار الذي ران سنين طويلة على معالم هذه الشخصية العلمية ، فهو واحد من العلماء العرب الذين كان لهم السبق في تأسيس علم العربية ولكن لم يحالفهم الحظ في إحياء تراثهم على الرغم من شهرتهم العلمية زمن رقي اللغة العربية وتطورها وفي عصورها الذهبية .

وها نحن الآن نقدم للقاريء الكريم نبذة مختصرة عن أحد رجالات تراثنا العربي في هذا المجال .

لقد كان لشهرة أبي عمرو بن العلاء أن ورد في اسمه حوالي عشرين قولاً[1] . ولكن ثبت لنا من خلال المراجع وما صرح به هو نفسه . أن اسمه أبو عمرو ابن العلاء ، وذلك عندما سأله تلميذه الاصمعي الذي كان قريباً دائماً من أستاذه . قال : قلت لأبي عمرو : ما اسمك ؟ فقال لي : أبو عمرو[2] . وقال الفرزدق :

ما زلتُ أفتح أبواباً وأُغلِقُها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار
حتى أتيتُ فتىً ضخماً وسِبعتُه مُرُّ السمريرة حراً ابن أحرار

فيذكره بأبي عمرو بن عمار ، وعمار جده الأدنى ، ويبدو أن ورود اسم الجد بدلاً من الأب طريقة قديمة ، وهو تقديم الجد عن الأب وما زال ذلك معروفاً حتى في عصرنا هذا .

وهو من أشراف مازن من قبيلة بني تميم وهي أكبر القبائل العربية ومن أشهرها في الأدب والسياسة ، يقول فيها جرير[3] .

إذا غَضِبتْ عليك بنو تميم حَسِبْتُ الناسَ كلَّهُم غضاباً

فتاريخ تميم حافل في الجاهلية والإسلام[4] .

فهو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين ابن الحارث بن جُلهم بن حجر بن خزاعة بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بن مرَّ ابن أدَّ بن طانجة بن إلياس بن مضر بن معد بن عدنان »[5] ويرجع نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام . فهو عربيٌّ خالص العروبة ولد بمكة ونشأ نشأته الأولى بها

---

(1) الخصائص لابن جني 2 ـ 8 ، معجم الأدباء 11 ـ 156 ، مراتب النحويين 33 ، بغية الوعاة 2 ـ 467 .
(2) مراتب النحويين 33 ، مجالس العلماء للزجاجي 79 ، طبقات الزبيدي 35 .
(3) نزهة الألباء 30 ، أخبار النحويين البصريين 40 ، سيبويه 1 ـ 9 ديوان جرير 78 ، طبقات فحول الشعراء 1 - 379 ، المزهر 2 - 458 .
(4) الأغاني 8 ـ 6 ، معجم قبائل العرب 1 ـ 126 ، 132 .
(5) مراتب النحويين 33 ، التيسير لابن الجوزي 17 ، البيان والتبيين 1 ـ 321 ، تاريخ الأدب العربي ، لبروكلمان 2 ـ 129 ، اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير 3 ـ 145 ، جمهرة أنساب العرب 212 انباه الرواة 4 ـ 155 ، الأعلام 7 ـ 41 ، الفهرست 30 ، 31 ، المزهر 2 ـ 458 .

ثم رحل إلى البصرة ، ومات ودفن بالكوفة ؛ فكان بصريَّ النشأة مازنيَّ الأصل تميميَّ القبيلة ، وكان يتقن لغتها ويتأثر بأسلوبها . وتاريخ ميلاده هو سنة (70 هـ 689م)[6] . ووفاته كانت سنة (154 هـ ـ 773 م) بعد أن اغترف من معين اللغة العربية الذي لا ينضب وأسهم في الحفاظ عليها بجهد كبير .

وأبو عمرو بن العلاء يتصف بصفات نبيلة ، فكان صادقاً ، حكيماً زاهداً كريماً عالماً . قال فيه مكيٌّ بن سواده[7] .

الجامع العلم ننساه ويحفظه والصادق القول إنْ أنداده كذبوا

سئل يوماً . حتى متى يحسن للمرء أن يتعلم ؟ قال : ما دامت الحياة تحسن به ، وكان مضيافاً يحسن إلى أضيافه ، ويدخل عليهم البشاشة والسرور فيقول : عاجلوا الأضياف بالحاضر ، فإن الضيف متعلق القلب بالسرعة . قال يونس ابن حبيب ـ أحد تلاميذه ـ « قَدَّمَ إلينا أبو عمرو ابن العلاء طبق رُطَب فأكلنا فرفعت يدي ، فقال : كُل . فقلت : قد أحسبني ، فضحك أبو عمرو وأعجبه ذلك ، وقال : هذا قول الله عز وجل : « جزاءً من ربك عطاء حِساباً » أي كافياً . وقال أبو عمرو : فوتَ الحاجة خيرٌ من طلبها من غير أهلها ، فكان تقياً زاهداً فإذا دخل شهر رمضان لم ينشد بيت شعر حتى ينقضي »[8] .

وقد كانت شخصيته قوية في الحق لا تأخذه فيه لومة لائم ، قال أبو عبيدة ـ أحد تلاميذه ـ : دخل أبو عمرو بن العلاء على سليمان بن علي ـ عم السفاح ـ فسأله عن شيء ، فصدقه ، فلم يعجبه ما قاله فوجد أبو عمرو في نفسه وخرج وهو يقول :[9] .

أنفتُ من الذُّل عند الملوك وإنْ أكرموني وإن قرَّبوا
إذا ما صدقتهم خفتهم ويرضون مني بأنْ يكذبوا

---

(6) الأعلام 3 ـ 41 ، مرآة الجنان 1 ـ 28 ، شذرات الذهب 1 ـ 237 ، غاية النهاية 1 ـ 292 ، وفيات الأعيان 3 ـ 466 ، 469 .

(7) البيان والتبيين 1 ـ 321 ، نور القبس 37 .

(8) سورة النبأ الآية 36 ، نور القبس 25 ـ 26 مرآة الجنان 1 ـ 328 انباه الرواة 4 ـ 126 ، مجالس العلماء 234 .

(9) وفيات الأعيان 3 ـ 469 .

لقد تربى أبو عمرو في كنف أسرة تعنى بالعلم عناية فائقة ، فـأثّر ذلـك فيه . كـان علماً من أعلام اللغـة العربيـة المعتد بهم حتى أن السيـوطي يلقبه بـأبي العلماء وكهفهم ويد الرواة وسيفهم[10] .

وعلى هذا المستوى نشأ أولاده ؛ فحافظوا على مكانة أسرتهم العريقة وحفظوا تراثنا الأصيل الذي زرع بذرته أبوهم .

وقد اتصفوا بصفـاته الفاضلة ، فقال فيهم محمد بن المناذر[11] .

سُـمِّـيـتُـم آل الـعـلاء لأنـكـم أهـل الـعـلا ومـعـدن الـعـلم
ولـقـد بنـى آل الـعـلاء لـمـازن بـيـتـاً أحـلوه مـع الـنـجـم

«أما شيوخه فكثيرون ، فقد تتلمذ على عدد كبير في مكة عندما كان يحفظ القرآن الكريم ويدرس علومه ، ثم تتلمذ على عدد آخـر بالعـراق خاصـة الذين كـان لهم السبق في وضع اللبنات الأولى للنحو العربي من تـلاميذ أبي الأسـود الدؤ لي(*) كـما تتلمـذ عليه عـدد كبير ممن صـاروا علماء مشهورين يحملون لـواء علم العربيـة عبـر العصـور ، مثل : الخليـل بن أحمد ويـونس بن حبيب النحويّ ، ويحيى أبـو محمـد اليزيدي ، والأصمعي ، وأبو عبيد بن المثنى وأخذ عنه بصورة غير مبـاشرة مجمـوعة منهم سيبويه حيث نقل عن أبي عمرو أربعة وأربعين نقلاً »[12] ولاستيعاب أبي عمرو علوم العربية وتعمقه فيها ومعرفة لغات القبائـل ذات الفصاحـة ، كان يقـوّم بعض علمائها ، ويناقشهم بنفس هادئة لا تعرف التعالي والتكبر .

التقى أبـو عمـرو بعيسى بن عمـر الثقفي من علماء النحـو واللغـة ، فقـال عيسى : ما شيء بلغني أنك تجيزه ؟ فقال أبو عمرو وما هو ؟ قـال بلغني أنك تجيـز « ليس الطيبُ إلاّ المسكُ » . فقال أبو عمرو : نمتَ يا أبا عمر - [وهي كنية عيسى] - « وأولج الناس » ليس في الأرض حجازيٌّ إلاّ وهو ينصب ، ولا في الأرض تميميٌّ إلاّ وهو يرفع . .[13] .

---

(10) المزهر 2 - 415 .

(11) الرواة الأعراب 185 ط 2 سنة 1982 م .

(12) مجلة كلية الآداب والعلوم ، القاهرة سنة 1957 م ، سيبويه 1 - 13 .

(13) مجالس العلماء ص 1 ، 2 ، طبقات الزبيدي 23 ، الاقتراح 75 ، المغني 388 .

(*) ولمعرفة المزيد في هذا الجانب يمكن الرجوع إلى كتابنا « أبو عمرو بن العلاء اللغوي النحوي ومكانته العلمية » .

وكان بمجلسهما تلميذا أبي عمرو وهما يحيى أبو محمد اليزيدي وخلف الأحمر ، ثم قال أبو عمرو : تعالَ يا يحيى . وتعالَ أنت يا خلف ـ لخلف الأحمر ـ اذهبا إلى أبي المهديِّ الحجازيِّ فلقِّناه الرفع فإنه لا يرفع واذهبا إلى المنتجع التميميِّ فلقِّناه النصب ، فإنه لا ينصب ، فلقَّنا الأول الرفع فلم يرفع ـ ولقَّنا الثاني النصب فلم ينصب ، فعادا إلى أبي عمرو بعد أن كتبا ما سمعا منهما ، وما زال عنده عيسى ، فأعلماه ما سمعاه ، فأخرج عيسى بن عمر خاتَمهُ من يده وقال لأبي عمرو : « لك الخاتمُ بهذا والله فقت الناس »[14] .

وقد ورد عن الأصمعي أنه قال : قال عيسى بن عمر : أنا أفصح من معد بن عدنان ، فقال له أبو عمرو : لقد تعريت ، فكيف تنشد هذا البيت :

قد كنَّ يَحْبأنّ الوجوه تستراً . . فاليوم حين بدأن للنظار أو بدين للنظار؟

فقال عيسى : بدأن ، فقال أبو عمرو : أخطأت . يقال : بدا . يبدو إذا ظهر ، وبدأ يبدأ إذا شرع في الشيء . والصواب حين بدوْن للنظار »[15] .

أما مؤلفات هذا العالم الجليل فكانت ضخمة ؛ لأنه كان في مقدمة من كان لهم دور عظيم في جمع اللغة والنحو والرواية وإتقان كل هذه الجوانب بالإضافة إلى الأدب والقراءات، حتى «أن مؤلفاته وصلت إلى سقف داره »[16]. لقد كانت المادة التي جمعها غزيرة ولكن الزمن قد ران عليها وجعلها مفقودة لا نعرف عنها إلَّا النزر اليسير ، وهي نتاج رحلة علمية دامت مدة طويلة جداً .

ولكن على الرغم من النسيان لشخصية هذا العالم الجليل ، فإن مكانته العلمية يسطع نجمها في الآفاق من خلال تلاميذه الذين عرفوا له قدره . فهذا يونس بن حبيب يفصح عن مكانة أستاذه فيقول : لو كان أحدٌ ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شيء كان ينبغي لقول أبي عمرو بن العلاء أن يؤخذ كله ، ولكن ليس من أحد إلَّا وأنت آخذ من قوله وتارك »[17].

والمعروف عن أبي عمرو أنه كان شغوفاً بالعلم منذ صغره ، فظل حريصاً على

---

(14) طبقات الزبيدي 44 ، انباه الرواة 4 ـ 131 ، مراتب النحويين 55 .
(15) وفيات الأعيان 3 ـ 487 .
(16) طبقات الزبيدي 35 ، معجم الأدباء 11 ـ 156 .
(17) نور القبس 25 ، 26 ، طبقات القراء 1 ـ 289 ، طبقات الزبيدي 35 .

جمع اللغة حتى في ساعات النجاة من الموت، فمما يروى عنه أنه قال «كنت هارباً مع أبي من بطش الحجاج بن يوسف ، وكان يشتبه عليَّ في قراءة « غُرفة » وهي لفظة « فَرجه » هل هي بالفتح أو بالضم ؟ فسمعت قائلاً يقول :

ربما تجزع النفوس من الأمر له « فرجة » كحل العقال

بفتح « فَرجه » ثم قال : مات الحجاج ، فكنت بقوله « فَرجة » أسرَّ مني بقوله مات الحجاج »[18] فلا وجه للمقارنة بين الخبرين ، فحرصه على العلم فضَّله على نجاته من الموت .

أما بخصوص رواية إحراقه لمؤلفاته والتي أوردتها بعض المصادر فهي رواية لا تعتمد على دليل قاطع ، فلا يعقل أن يقوم عالم راجح العقل كأبي عمرو بإحراق ما جمعه عبر رحلة علمية طويلة بعد أن تنسَّك[19] . ولكن الشيء المسلّم به أن مؤلفات ضخمة قد ضاعت وعبث بها العابثون من تتار وغيرهم . فقد ذهب نتاج العقول وحصاد العبقريات العربية وثمرات الأيدي الصَّناع ، أما ما تبقَّي من تلك المؤلفات الثمينة فمنتشر بمكتبات العالم ، وخير دليل على ذلك ما يوجد منها بإستانبول وغيرها .

وقد كان أبو عمرو ـ أيضاً ـ من العلماء اللغويين بل أعظم ممثل لعلم اللغة ، والتفسيرات النحوية ، ونحن نستخدم كتبه المتعددة وما زالت مخطوطاته تذكرها المصادر ، لأنه كان أعلم الناس بالعربية والشعر والأدب وأخبار العرب وأنسابها . .[20] . وكان لا يفصل بين اللغة والدين، فيربط بينهما ربطاً شديداً، حتى أنه رأى أن أكثر من تزندق بالعراق لجهلهم بالعربية . كما كان على وعي تام بالفروق اللغوية، وتناولها في مناطق الجزيرة العربية، فيقول: «ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا »[21] وكان رجل ثقة ، قال خلف الأحمر للأصمعي : ما كان أبو عمرو ليقرئك إلاَّ ما سمع ، وقد وثّقه الناس والمريدون

(18) وفيات الأعيان 3 ـ 468 .

(19) د. عيسى بن عمر الثقفي ص 27 ، تاريخ التراث العربي فؤاد سزكين . 1 ـ 154 .

(20) السابق ؛ والفهرست 41 ، 88 ، دائرة المعارف الإسلامية 557 ومن تاريخ النحو 16 ، البيان والتبيين 1 ـ 321 .

(21) نزهة الألباء 25 ، المزهر 1 ـ 174 ، طبقات فحول الشعراء . 1 ـ 11 .

جميعاً[22]. وكان يتصف بالتواضع فلا تغرُّه نفسه مهما بلغ من العلم، فيقول: «إنما نحن بالإضافة إلى من كان قبلنا كبقل في أصول رقْل »[23] كما كان أيضاً شيخ الرواة غير منازع ، لأنه عاصر البصرة ، التي كانت في القرن الأول الهجري قبلة طلاب العربية ومقصد العرب أهل البادية ، فيها شافه العلماء هؤلاء اللأعراب الذين كانوا ينطقون باللغة العربية صافية نقية خالية من أدران العجمة . سئل أبو عمرو يوماً : «أخبرني عما وضعت مما سميته عربية. أيدخل فيها كلام العرب كله؟ فقال لا. فقيل له : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة قال : أعمل على الأكثر وأسميّ ما خالفني لغات »[24] .

وكان فيما يروى من الآثار الأدبية يمثل ظاهرة مهمة ، تجعل لمروياته قيمة تاريخية خاصة ؛ لأنه روى عن أعراب أدركوا الجاهلية ، وكان يتأكد مما سمع من الأعراب ويختبرهم عندما يدخل بعضهم المدن ويتأثر بالحاضرة ، مثل أبي خيرة ، عندما قال له :لَانَ جلدُك يا أبا خيرة[25]، ويروى أن أبا عمرو ـ رحمه الله ـ غاب عن البصرة فترة ثم عاد فجلس مجلسه في الجامع ، فَفَقَد إخوانه وأصحابه الذين كانوا يقعدون إليه ، فبكى وأنشأ يقول :[26]

يا منزلَ الحيِّ الذي ... من تفرقت بهم المنازلْ
أصبحت بعد عمارةٍ ... قَفْراً تهب بك الشمائلْ
فلئن رأيتُك موحِشاً ... فبما رأيتُ وأنت آهلْ

وقال في الحكمة :[27] .

ترى المرء يبكيه الذي عاش بَعْدَهُ ... وموتُ الذي يبكي عليه قريب
يحب الفتى المال الكثير وإنما ... لنفس الفتى مما يحب نصيب

وكان يقول : ما قالت العرب بيتاً أبرع من قول أبي ذؤيب .

---

(22) نزهة الألباء 18 ، مدرسة البصرة النحوية 432 ، انباه الرواة 4 ـ 127 .
(23) نزهة الالباء (لابو الفضل) 26 ، الرقل النخل العالي . المفصل للحلواني 1 ـ 178
(24) طبقات الزبيدي 39 ، طبقات فحول الشعراء 1 ـ 16 ، وفيات الأعيان 3 ـ 466 ، انباه الرواة 26 .
(25) مجالس العلماء 5 ، البيان والتبيين 1 ـ 320 ، 321 ، طبقات الزبيدي 35 .
(26) المنازل والديار 17 لأسامة منقذ ، وفيات الأعيان 1 ـ 412 .
(27) نور القبس 34 .

والـنفس راغـبـة إذا رغّـبـتـهـا وإذا تـردُّ إلـى قـلـيـل تـقـنـع[28]

أما الجانب النحوي لديه ، فكان أبو عمرو نحوياً مشهوراً ، فَيُعَدُّ من متقدمي النحاة وأحد أئمة الطبقة الثانية من نحاة البصرة ، وفيه قال أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي :

يـا طـالـب الـنـحـو ألاَ فـابْكِـهِ بـعـد أبـي عـمـرو وحـمـاد

ولقد وردت عنه ظواهر نحوية وآراء في كتاب سيبويه ، رواية عن تلميذيه الخليل بن أحمد أستاذ سيبويه ويونس بن حبيب النحويّ ، وإن كانت هذه الآراء لا تمثل إلاّ القليل من علمه في هذا النوع من علوم العربية ، الذي علا كعبه فيه ، وفي مقارنة بينه وبين عالم النحو الكوفيِّ الكسائي تظهر براعة أبي عمرو ، يقول اليزيدي : «كنت جالساً مع الفضل بن الربيع (كان الفضل من وزراء الرشيد والأمين من بعده) ؛ فجلس ، فدخل الأحمر ، فجلس إلى الفضل ، فقال لي الفضل : مَنْ كان أعلم بالنحو الكسائي أم أبو عمرو بن العلاء ؟ ـ وكان أبو عمرو أستاذ اليزيدي ـ قال : قلت له : أصلحك الله ، لم يكن بالنحو ، أعلم من أبي عمرو ، فقال الأحمر : لم يكن يعرف التصريف . فقلت له : ليس التصريف من النحو في شيء . إنما هو شيء ولدّناه نحن ، اصطلحنا عليه . وكان أبو عمرو أنبلَ من أن ينظر فيما وَلَّد الناس . قال : ولمَ ؟ قلت : جاور البدو أربعين سنة ولم يقم الكسائي بالبدو أربعين يوماً . ثم قلت له : أنت أيضاً تزعم أن الكسائي لم يكن يبصر في التصريف ، وأنت تزعم أنك علمتَه ، فسكت. . »[29] والأحمر هو علي بن المبارك الأحمر ، صاحب الكسائي فهو أول من دَوَّنَ عن الكسائي ، وكان مشهوراً بالنحو واتساع الحفظ وكان يعرف علل النحو ومقاييس التصريف .[30] .

وعلى سبيل المثال لا الحصر يجدر بنا أن نذكر بعض الأمثلة من آراء أبي عمرو في مجال النحو . إنه يفسر النصب في قول العرب .

ألا رَجُـلَ إمـا زيـداً وإمـا عمـراً . . . لأنـه حـين قـال : ألا رَجُـلَ فهو متمن شيئاً يسأله ويريده ، فكأنه قال : اللّهم اجعله زيداً أو عَمْراً أو وفِّق

(28) المفضليات 422 .

(29) نزهة الألباء 97 ، انباه الرواة 2 ـ 313 ، مجالس العلماء 171 .

(30) السابق .

زيداً أو عَمْراً . .[31] وهو حذف الفعل والعامل لوجود الدليل عليه لكثرته في كلامهم ؛ حتى صار بمنزلة المثل . وليس من التحيز إذا قال قائل . إنَّ أبا عمرو ربما كان أول من بحث في بعض الألفاظ المشكلة من الناحية النحوية التي لا تتضح نسبتها بسهولة إلى الأسماء أو الحروف وذلك مثل : « كم » فهي عنده اسم ؛ لأنها يخبر عنها ، قال سيبويه « وأعلم أن « كم » في الخبر لا تعمل إلاَّ فيما تعمل فيه « رُبَّ » لأنَّ المعنى واحد إلاّ أنّ « كم » اسم و« رب » غير اسم . فهي بمنزلة « مِنْ » الفرق بينهما أن « ربَّ » من حروف الخفض ، ومعناه تقليل الشيء وهو نقيض « كم » والفرق بينهما في الخبر . أن « كم » اسم و« رب » حرف والذي يدل على ذلك عنده أمور منها : إن « كم » يُخْبَرُ عنها ، يقال : كَمْ رجلٍ أفضلُ منك . فيكون « أفضلُ » خبراً عن « كم » كما يكون خبراً عن زيد إذا قلت : زيد أفضلُ منك . ولا يجوز ذلك في « رب » فلا تقول : رب رجلٍ أفضلُ منك». حكى ذلك أبو عمرو ويونس عن العرب في رواية سيوبيه . .[32] ورب عند أبي عمرو لا عامل لها ؛ لأنها ضارعت النفي لا يعمل فيها عامل أو لتضمِنُها معنى النفي .

كان القياس إلاَّ يجيء وصف مجرورها إلاَّ فعلية، كما في: أقلُ رجلٍ المتضمن معنى النفي ذلك أن النفي يطلب الفعل إلاّ أن « رُبَّ » لخروجها إلى معنى الكثرة في أغلب مواضعها جاز وقوع نعت مجرورها اسمية كما في قول لبيد[33] :

يـا رُبَّ هـجـيـا هـي خـيـرٌ مـن دَعَـهْ

وكان يذكر أن « يا » في قوله تعالى : ﴿ يا عبادِ فاتقونِ ﴾(*) قد تكون لمجرد التنبيه والإيراد منها النداء وذلك مثل : « يا ويل لكم » « ويا ويحٌ لك » كأنه نبّه إنساناً ، ثم جعل الويل له . وكان يجيز في ضرورة الشعر أن ينصب العلم المفرد إذا نودي ونُوِّن مثل « يا عديّاً ومطراً . ويقيسه على الممنوع من الصرف إذا نُوِّنَ في ضرورة الشعر ويكون مثل : بعثمانٍ ومن مروانٍ[34] . وقال أبو عمرو في قوله تعالى : ﴿ أُولي أجنحةٍ مَثنى وثُلاثَ ورُباع ﴾(**) صفة كأنك قلت : أولي أجنحة اثنين

(31) سيبويه 1 ـ 286 ط 1977 م ، 2 ـ 161 ، أوضح المسالك 4 ـ 268 شرح المفصل لابن يعيش 8 ـ 26 ـ 27 . شرح الأشموني 1 ـ 28 .

(32) شرح الرضي على الكافية 4 ـ 292 ، خزانة الأدب 4 ـ 171 .

(33) سيبويه 2 ـ 219 ، المفصل للحلواني 1 ـ 192 ، المغني 448 .

(*) الزمر : 16 . (**) فاطر : 1 .

(34) سيبويه 2 - 210 ، 2 - 219 ، الآية 16 الزمر . ابن يعيش 2 - 11 .

اثنين ، وثلاثة ثلاثة ، وتصديق قوله قول ، ساعدة بن جُؤيَّةَ :

ولـكـنـمـا أهـلي بـوادٍ أنـيـسـة ذئـاب تبغىَّ النـاس مثنى ومَـوْحَـدَ

وهو ترك صرف مثنى وموحد لأنهما صفات لذئاب ، معدولتان لاثنين اثنين ، وواحد واحد[35] . وفي باب الاختصاص قال أبو عمرو في « بنا تميماً يكشَفُ الضبابُ »[36] . أن العرب نصبت في الاختصاص أربعة أشياء : معشر ، وآل ، وأهل ، وبني . قال « إنّا بني ضبةَ لا نفر » ويقول الرضي : لا شك أن الأربعة التي ذكرها أبو عمرو هي أكثر استعمالاً في باب الاختصاص ولكن ليس الاختصاص محصوراً فيها[37] أما دوره كقارىء فكان أبو عمرو أحد القراء السبعة الذين سبّعهم ابن مجاهد في كتابه « السبعة » . لقد قرأ القرآن الكريم وحفظه أولاً بمكة على عدد كبير من الشيوخ حيث كانوا يقرِّبونه منهم ؛ لأنه كان ذا شخصية محبوبة ، حتى صار من القراء الموثوق فيهم ، وظل يقرىء الناس حتى طارت شهرته في الآفاق ، وراجت قراءته بين العلماء ، فعرفوا له قدره ، ثم بين الناس عامة فآثروه على غيره، فقال ابن الجزري : «ليس في القراء السبعة اكثر شيوخاً منه». وقال: «إنّالقراءة التي عليها الناس اليوم (المئة التاسعة للهجرة) بالشام والحجاز واليمن ، هي قراءة أبي عمرو بن العلاء ؛ فلا نكاد نجد أحداً يلقن القرآن إلاّ على حرفه »[38] ومما يروى عنه أنه كان رأساً في القرآن الكريم والحسن البصريُّ حيّ مُقدَّم في عصره، فهو من التابعين لقي أنس بن مالك وقد مَرَّ الحسن البصري وحلقته متوافرةً والناس عكوف ـ يقصد أبا عمرو ـ فقال : «مَنْ هذا؟ فقالوا: ابا عمرو بن العلاء قال: لا إله إلاّ الله كاد العلماء أن يكونوا أرباباً . كل عزٍّ لم يؤكد بعلم فإلى ذلٍّ يؤول »[39] . وكانت قراءته شائعة في الأقطار الإسلامية قال أحمد بن حنبل : «قراءة أبي عمرو أحبَّ القراءات إليَّ ». ويقرأ بها اليوم في السودان المجاور لمصر من الخرطوم إلى كسلا إلى

---

(35) الآية الأولى سورة فاطر: سيبيوه 3 ـ 225 ، 226 ، ما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج 44 ، المخصص لابن سيده 17 ـ 121 .

(36) من أرجوزة لرؤبة بن العجاج وهو تميمي ، سيبويه 1 ـ 363 ، 2 ـ 234 ابن يعيش 2 ـ 18 ، الخزانة 10 ـ 12 ، شرح الأشموني 3 ـ 183 « ضبَّة » أدٌّ بن طابخة إلياس بن مضر ، شرح الرضي 1 ـ 432 .

(37) السابق .

(38) غاية النهاية 1 ـ 291 ، حجة القراءات لأبي زرعة 54 ، معجم الأدباء 11 ـ 159 .

(39) طبقات القراء 1 ـ 291 ، نور القبس 26 ، غاية النهاية 1 ـ 292 كتاب التيسير للداني 5 .

شمال إرتيريا في شرق تشاد[40] . إنه المؤسس الأول لقراءة البصرة ، فكان إمامها في القراءات واللغة والنحو والرواية . ومما يروى عن سفيان بن عُيينة قال : رأيت رسول الله « ﷺ » في المنام فقلت له : يا رسول الله قد اختلفت عليَّ القراءات ، فبقراءة مَنْ تأمرُني أن أقرأ ؟ فقال اقرأ بقراءة أبي عمرو بن العلاء[41] وقد روي عنه القراءة راويان هما : السوسي والدوري عن طريق اليزيدي يقول صاحب الشاطبية ص(2) .

أقـام الإمـام المـازنيُّ صـريحهُم ... أبـو عمـرو البصـريُّ فـوالـدهُ العـلا
أفـاض على يحيى اليـزيـدي سَيْبَـهُ ... فـأصبح بـالعـذب الفـراتِ معلّلا
أبـو عمـرو الـدوريِّ وصـالحهُم أبـو ... شعيـب هـو السـوسيُّ عنـه نـقـلا

كذلك قال ابن الجزري فيما نقله صاحب المهذّب : [42] ثم أبو عمرو فيحيى عنه ونقل الدوريُّ والسوسيُّ منه .

قال الأصمعي : «جلست إلى أبي عمرو بن العلاء ولي تسع عشرة سنة وتـوفي ولي سبع وعشرون سنة ، ما سمعت أحداً يسأله عن شيء عَيِيَ بجوابه ولا سألته أنا عن شيء إلاَّ وجدت عنده علماً »[43] وعلى الرغم من محاولة تجنب الإسهـاب إلاّ أن مآثر هذا العالم العربي تفرض نفسها ، وأبو عمرو نفسه يؤثر الإيجاز في الكلام . نقل ذلك القفطي في كتابه « ابناه الرواة » فقال : ولولا أنني وقفت عند قول أبي عمرو بن العلاء : « الحق نتف » ويكره الإكثار في كل بـاب وأحسن الأشياء أن يقصـد إيجاز الكـلام « لأطلت في أخبـاره وأكثـرت من إيـراد « آثـاره » ـ رحمـه الله ورضي عنـه وأرضاه[44] .

---

(40) بغية الدعاة 2 ـ 237 ، التحرير والتنوير للشيخ محمد بن عاشور 1 ـ 57 ، حجة القراءات 66 ، 67 .
(41) غاية النهاية 1 ـ 291 ، 292 .
(42) 1 ـ 12 .
(43) معجم الأدباء 11 ـ 160 ، غاية النهاية 1 ـ 290 .
(44) 4 ـ 130 القاهرة 1973 م .